

إضاءة

الفن السوري بين معرضين: ماذا لو نظرنا بعينون مفتوحة؟

ينس غلشوت
عن الزيف، وغياب العدالة

حسنة السكاف

أعدّ أخيراً معرضاً خاصاً للآزياء العربية التي يحبّها، لكنّ طرفاً صعباً أجل إقامته. منحواته تذهب برسائلها إلى حيث الألم والجوع والعنصرية والظلم ومأساة الإنسان. إنه ينس غلشوت (1954) النحات والنشاط السياسي الدنماركي، رأى فيه بعضهم امتداداً لأفكار مواطنه هانس كريستيان أندرسن (1805 - 1875)، الكاتب الساخر الذي تناولت أعماله الأم الإنسان البسيط. في مشغله في مدينة أودينسا، يقول: «أعتقد أنّ «ثياب الإمبراطور» هي من أشهر قصص أندرسن، إذ تفضح الزيف. وهذه الفكرة هي ما تحمله أعماله من رسائل للعالم، حيث ينتشر الزيف».



البقاء للأضخم - 2002

في حديقة المشغل، يقف تمثال برونزي بارتفاع ثلاثة أمتار ونصف متر، إنه Survival of the Fattest («البقاء للأعظم») الذي جاب العالم عام 2002 ممثلاً رجلاً جائعاً ومنهكاً، يستر نصفه الأسفل بخرقه بالية، ويحمل على أكتافه كائناً بديناً وكسولاً لا يريد المشي، حتى إنه مغمض العينين. ومع ذلك، يُمسك هذا الكائن بعضاً طويلاً ليكتفي عليها كأنه يسير، متناسياً من يحمله. وفي يده اليمنى يحمل ميزان العدالة: «غياب عدالة يؤزقني، وهذا التمثال تحذير بالاً يصبح العالم بهذه الصورة المخيفة».

وجد بعضهم في التمثال ما يرمز إلى القارة السمراء. وهناك من رأى فيه إداة للاستعمار والتسلط السياسي، لكن الكل يُجمع على أنّ العمل يتعد بموضوعه عن هموم الفرد الدنماركي: «أغلب أعماله تهتم بالإنسان ومأساته، ورسائلها إنسانية أطرحتها بشكل عنيف. هذا الشكل لا

تجده كثيراً في الدنمارك، ليس لأنّها خالية من المشاكل، بل لأنّ الدنماركيين يخافون العنف». ويتابع: «أنجزت العديد من الأعمال التي تخص المجتمع الأوروبي، بينها «وحشي الداخلي» الذي يصوّر هيكلًا بشرياً برأس خنزير وأذني كلب». هذا العمل عرض عام 1993 في 20 مدينة أوروبية مجسداً صرخة في وجه الأنانية الجديدة لدى الفرد الأوروبي.

ويمضي ينس غلشوت في تعميق هذه الفكرة: «أنا قلق على مستقبل الإنسان. هنا في الدنمارك مثلاً، تغيّر الفرد والحياة اليومية أيضاً. عملي يترجم الخوف من أن تسيطر علينا قوانين الغاب». لا يكتفي الرجل بأعماله ليقول احتجاجه على ما آلت إليه الأمور، بل يقيم دوماً محاضرات عن خطر العنصرية في أوروبا وحقوق اللاجئين... ويردّد دائماً: «المذابح التي تحصل في العالم، ليست بعيدة عنا بالقدر الذي يتخيّله معظم الناس هنا».

تجده في اللوحة في سوريا. أما يوسف عبدلكي فطور لوحته من النقد السياسي المباشر المتوازي مع بحث جغرافياكي متقدّم على مستوى تقنيات الحفر والطباعة، وراح منذ منتصف التسعينيات يرسم أشياء مهمة (أحذية، بقايا طعام...) بواقعية شديدة.

في نهايات القرن، ظهرت أسماء أخرى بدت مُغامرة، كسارة شما وخالد تكريتي وسبهان آدم، وكان الاختلاف كبيراً بينهم على مستوى الموضوع. سارة رسمت لوحاتها بنرجسية أنثوية وحسية عالية. أما تكريتي فقدم مواضيع عادية كالزفاف، أو رسم أشخاصاً يقفون بطريقة تشبه الصور العائلية. وأخيراً رسم سبهان آدم كائنات متوحشة في أماكنها المعزولة بقسوة وانفعال (راجع في مكان آخر من الصفحة مقالة نوال العلي عن معرضه البيروتي الجديد). وبقي الوضوح الشكلي أساسياً، ولن تلمح أي بداية لتجريد ما. وعلى مستوى اللون، ظلت الألوان الداكنة حاضرة.

بين 1999 و2003، أقام الفنان السوري المغرب مروان قصاب باشي ورشة عمل شبه سنوية في عمان، شارك فيها سوريون شباب شكّلوا لاحقاً توجهها فنياً جديداً في اللوحة السورية التي مالت إلى التعبيرية التجريدية. وما جمع تجاربهم هو الانفعال على سطح اللوحة، وعدم وضوح الشكل، والتركيز على مواضيع هامشية. انتشر هذا التوجه الجديد بين طلاب كلية الفنون فبرز وليد المصري، وتام عزّام، وقيس سليمان، وعمران يونس، ومحمد علي، وإيمان حاصباني، وأكرم الحلبي. وفي السنوات الأخيرة، أخذ مبدعون شباب يبحثون عن أساليب أخرى لصناعة العمل الفني، مثل نسرين بخاري التي صقلت تجربتها في التجهيز المطورة عن أشكال نحتية إنسانية...

هل تتجاوز البدائية الفنية مع المعاصرة والحداثة؟ ما هو حصاد التاريخ الفني القريب في سوريا؟ هل أجاب فعلاً عن أسئلة الحداثة الفنية؟ وهل وجد حقاً «فن سوري» له خصائصه؟ الإجابة تتطلب مراجعة نقدية حقيقية قد لا نرضينا، لكنها ستكون مفيدة إذا نظرنا إلى أنفسنا بعينون مفتوحة. مرة، قال مروان قصاب باشي: «الفن الجيد هو الفن الذي ينظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل».

مستحدثة كالفيديو والتجهيز. ربما كان كافياً للقيمين على المعرضين التقسيم الزمني لتحديد ما هو حديث وما هو معاصر. مع ذلك، لنحاول قراءة الأمور من زاوية أخرى، ورؤية ما أنجز خلال العقدَيْن الأخيرين على الساحة الفنية في سوريا.

بين 1990 و1995، شهدت سوريا طفرة كبرت أسماء شباب قدّموا ما بدانقلته خارج الأسئلة الديماغوجية المملة التي كانت تطرح في السبعينيات والثمانينيات، مثل «العلاقة بين الأصالة والمعاصرة»... بين هؤلاء، النحاتون مصطفى علي وأكثم عبد الحميد وجميل قاشا، والرسامون صفوان داحول وأحمد معلا وحمود شنتوت. وقد جمعهم وضوح الشكل الإنساني ورومانسية الموضوع، وغياب العنصر الحسي على السطح (باستثناء أحمد معلا). وتمكّن تقني أكبر من الجيل القديم. ستتركس تلك الأسماء وسنجد الفنانين الشباب يستنسخون تجاربها. في سياق آخر، كان فنانون من جيل التسعينيات يعملون خارج أي توجه عام، مثل عبد الله مراد الذي أنصب هُمة على البحث اللوني المستند إلى التجريد المطلق. بالتوازي معه، كان ادوار شهدا يبني لوحته بهدوء عائداً إلى الأسئلة الفنية عند رواد الفن في القرن العشرين (سيران، بيكاسو...) من ناحية هندسة الشكل (طبيعة صامتة، طبيعة...)، مع بحث لوني نادراً ما

عودة إلى التصنيفات
السائدة لدى تناول
الفن السوري في
العقدَيْن الأخيرين.
أين ينتهي «الحديث»
ويبدأ «المعاصر»؟
أسئلة تنطلق من
معرضين تتهيا دمشق
لاستقبالهما

باسك السحدي

ما هو الحديث وما هو المعاصر؟ هذا التضارب في المفاهيم وإجابه القيمون على معرضين تستقبلهما دمشق قريباً ضمن مشروع «الذاكرة التشكيلية»: الأول «معرض الفن السوري الحديث من 1990 حتى 2000» والثاني «معرض الفن السوري المعاصر» الذي يغطي بعد 2000.

في العالم، ارتبط «الحديث» بما تجاوز التقليدي صانعاً نقلة في المفاهيم الفنية الأساسية من جهة الموضوع والبحث اللوني والشكلي. هذا التعريف ارتبط بإنجازات رواد الفن في مطلع القرن العشرين. أما الفن المعاصر فمصطلح ارتبط عالمياً بالسبعينيات وما بعدها، ويستخدم اليوم للحديث عما ينتجه الفنانون الجدد، في تناولهم مواضيع جديدة، وخصوصاً استخدام أدوات تعبير وقوالب



من أعمال يوسف عبدلكي (تفصيل)

فاغر». تكشف العناوين التغيير في موضوع اللوحة، إنها تنقلب على سطوة الرداء. الظهور قد يكون بـ«الشورت الأحمر» عنوان إحدى اللوحات التي تنزع فيها العبادة عن صاحبها لتتكشف تشوّهاته وبشاعته. سرورال قصير يبرز ترهلاً في البطن وأصابع القدمين المستطيلة وأظافر اليدين الطويلة، ضمادة حمراء على الذراع وربطة عنق باللون متناقضة ربما تخفي تشوّهاً آخر. يقترّب هذا الشكل كثيراً من المنحوتات البدائية الأفريقية.

هذه المرة قلّما يجلب سبهان الجسد الناحل جداً، أحياناً يتركه نباتاً كأنه يخرج من بئلة وردة. إنه الشخص نفسه الذي رسمه في معارضه «أجساد سرمدية» (2007) و«أبعد من الليل» (2008)، وغيرهما من المعارض الشخصية التي تعددت بين باريس ونيويورك وجنيف ومريد وروما وبرشلونة وبومباي.

وبالعودة إلى موضوعه، أو «بطل» لوحاته، نجده وقد ترك ذقنه غير حليق وطال شعره، وزادت الخطوط والهالات تحت عينيه، وتعاطمت كابتته وعزلته. لقد من عليه الوقت، وصارت عاطفته مكشوفة حتى لو حاول آدم تكميته مرة وعصب عينيه مرات، أو تغطية إحدى عينيه. كان الفنان يبالغ في حرمان قرينه من التعبير عن طريق النظر. هذا النظر الذي يبدي - حين يُترك متاحاً - شعوراً قاتلاً بالامبالاة إزاء العالم المنظور.

الشخص موثق بخطين لونيين برتقاليين، كأنهما معلقان في شجرة غائبة أو سماء بكماشات. مشاهد يفترضها قرأى اللوحة، حين يرى عمل «رجل عصفور» الذي يقترّب شكله من شرفة لن تفلح في الخروج، أو من عصفور حالك السواد يعدّ للشواء. أي طيران سيكون لعصفور بلا جناحين؟ النظرة نفسها ستواجهك، إذ يلتفت الرجل المعلق ويحدق جارحاً في من يراه. كذلك هي حال البورتريهات المؤطرة بإطار نحاسي عريض، مزرکش وتقليدي، كأنها صور قديمة التقطت لشخص ينظر في مرآة. تشعر بأن مثل هذه البورتريهات لن يتاح لك مشاهدتها سوى في قصر مسحور، أو فيلم بأجواء غرائبية، النظر فيها ليس موجهاً إلى الخارج، آدم معنيّ بضمير الجمال يستنطقه ليعيد الاعتبار إلى مفهوم القبح. تشاهدك اللوحة فتقول لك: فيم تحديق؟ أنت لا تقل عني تشوّهاً؟

حتى 24 تشرين الأول (أكتوبر) الجاري - غاليري «عايدة شرفان» (وسط بيروت) - للاستعلام: 01/983111 - www.aidacherfan.com

ملاحش

انطلاقاً من هاجس الحرب. للاستعلام: 01/738706

■ تقيم الجامعة الأميركية في بيروت و«دار النهار» ندوة عن كتاب وزير الخارجية الأردنية السابق مروان المعشر «نهج الاعتدال العربي: مذكرات سياسية 1991 - 2005» وذلك عند السادسة من مساء الجمعة 10 الحالي في قاعة عصام فارس. ويشارك في الندوة النائب والإعلامي غسان تويني والكاتب رمزي نجار. وتلي الندوة حفلة توقيع الكتاب.

■ في مناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيسها، تقيم جامعة البلمند حفلة موسيقية يقدمها عازف الكمان جورج سعادة سكاف وعازفة البيانو تاتيانا بريماك - خوري. وخوري حازت جوائز عالمية في مباريات العزف على البيانو، وتقيم في لبنان، حيث تنشط من خلال حفلات كثيرة تقدّمها على مدار السنة.

الكونسرفتوار لتقود الأوركسترا، وسترافقها غناء السوبرانو بولين كورتان. للاستعلام: 01/489530

■ انتقلت غاليري نايلا كئانة كونيغ من الأشرفية إلى مبنى جفنيور سنتر - بلوك E (الحمرا). وسيكون افتتاح الفضاء الجديد مساءً في 16 الجاري، بمعرض للفنان اللبناني جان مارك نحّاس (الصورة). بعنوان Douces Violences 2008-2005 (تجليات العنف والعذوبة). يستمرّ حتى 29 تشرين الثاني (نوفمبر).

وكان آخر موعد للجمهور اللبناني مع نحّاس حين قدّم قبل عامين معرضه «أسأ على عقب» (زيكو هاوس/أمم) الذي جمع بين اللوحة والتجهيز، مقترحاً رؤياً كابوسية للواقع اللبناني



السبت والأحد 11 و12 الحالي، الثامنة مساءً - عدد الأماكن محدود، الحجز سلفاً info@zoukag.org - أريان لانغلو: 70/996065

■ توفّع الشاعرة السعودية مي كتبي ديوانها «عاشقات» في «فيرجين ميغاستور» (وسط بيروت) السادسة من مساء الجمعة 10 الحالي. للاستعلام: 01/999666

■ دعا كل من الموسيقار وليد غلمية، رئيس المعهد الوطني العالي للموسيقى (الكونسرفتوار)، وسفير فرنسا في لبنان أندريه باران، لحضور أمسية موسيقية تقدّمها الأوركسترا السمفونية الوطنية اللبنانية عند الثامنة والنصف من مساء الجمعة 17 الحالي في «كاتدرائية القديس يوسف للأبء اليسوعيين» (مونو). وستكون المرّة الثانية التي تحل فيها المايسترا كليز لو فاشيه ضيفاً على

■ تحلّ فرقة «وسط البلد» ضيفة شرف على حفلة توزيع جوائز إذاعة مونت كارلو، التي تقام في القاعة الكبرى لـ«مكتبة الإسكندرية» في 16 الحالي. «وسط البلد» من الفرق المصرية التي تمثل اتجاههاً خاصاً في الموسيقى المصرية الجديدة، وتجمع جمهوراً تتنوّع اهتماماته بين تقديم التراث بتوزيع موسيقي مبتكر، واعتناق الاتجاهات الموسيقية الطليعية في الغرب.

■ عرضان إضافيان لمونودراما «علبة الموسيقى» التي شهدت الاهتمام والإقبال. موعد الجمهور مع مايا زيبب خلال هذا الوبك إند، في الاستديو المشترك بين الفرقة المسرحية رفاق والمخرجة سهام ناصر (منطقة العدلية). تقاطع سامي الصلح وفرن الشباك:

